

الصناعة النسيجية صناعة تقليدية متوارثة في وادي سوف

The textile industry is inherited traditional industry in Oued Souf

قعيد لطيفة¹

المركز الجامعي تيبازة - الجزائر

gaid.latifa@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2024/02/24

تاريخ القبول: 2024/02/19

تاريخ الارسال: 2024/02/04

ملخص:

تعد الصناعة النسيجية أحد أبرز الصناعات التقليدية التي تعبر عن الإرث الثقافي للمجتمعات المختلفة، حيث تعتبر نموذج حضاري راسخ في ذاكرة الشعوب، لما لها من ارتباط وثيق بالبيئة المحلية، كما أنها تسهم في تنمية المجتمعات اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. تمثل الصناعة النسيجية أحد الحرف التقليدية العريقة التي مارسها سكان منطقة وادي سوف منذ القدم وتم توارثها عبر الأجيال، وتهدف دراستنا إلى التعرف على هذه الحرفة بمنطقة الوادي، واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي لأنه المنهج المناسب للموضوع محل الدراسة، وتم التوصل إلى أن هذه الحرفة برزت بالمنطقة منذ مئات السنين، وازدهرت في القرن التاسع عشر، وكان كل بيت سوفي يحظى بمكان مخصص لآلة النسيج التي تعمل على تزويد سكان المنطقة بمنسوجات مختلفة. وكان ذلك إما لتلبية الاحتياجات الذاتية أو لتحقيق أغراض تجارية.

الكلمات المفتاحية: الصناعة النسيجية، أدوات النسيج، المنسوجات السوفية.

Abstract:

The textile industry is one of the most important traditional industries that reflects the cultural heritage of different societies. It is a cultural model firmly rooted in the memory of peoples, since it is closely linked to the local environment and contributes to the economic, social and cultural development of societies.

The textile industry is one of the ancient traditional crafts that the inhabitants of Oued Souf have practised since its inception and have inherited over generations. Our study is aimed at identifying this craft in Oued Souf, and we have adopted a descriptive approach because it is the appropriate method for the subject in question. It has been concluded that this craft has emerged in the region hundreds of years ago, flourishing in the nineteenth century, and that every Souf house has a place dedicated to the textile machine that provides the inhabitants of the region with various textiles. This was either for self-needs or for commercial purposes.

Keywords: textile industry, weaving tools, Souf textiles.

1 - المؤلف المرسل: قعيد لطيفة، الإيميل: gaid.latifa@cu-tipaza.dz

مقدمة

منذ وجود الانسان على سطح الأرض حاول البحث عن مختلف الوسائل الطبيعية سواء من النبات أو الحيوان من أجل حماية بدنه، واعتمد على العمل اليدوي لفترات طويلة من أجل تلبية متطلباته.

وتعتبر الصناعة النسيجية أحد الحرف التقليدية التي انبثقت عن العمل اليدوي، وظهر ذلك جليا من خلال النقوش الأثرية الموجودة منذ آلاف السنين والتي توضح طرق ووسائل النسيج المختلفة التي اعتمدها الانسان، كما لوحظ ابداع في هذه الحرفة قديما وشهدت تطورا عبر الحضارات المتعاقبة والأجيال المختلفة.

انتشرت الصناعة النسيجية في ربوع المناطق الجزائرية، وتتميز كل مدينة أو منطقة بطابع خاص يميزها عن غيرها، ولقد شهدت منطقة سوف قديما انتشار مجموعة من الصناعات التقليدية، وقد تركزت هذه الصناعات في أغلب المدن، وتمثل صناعة النسيج إحدى هذه الصناعات، ولقد تم ممارستها في مناطق متعددة، تعود نشأة هذه الصناعة الى نساء الجلفة اللاتي كن يقمن بنسج لباسهن ولباس أسرهن بمنزلهن، مستخدمين لذلك آلة المنسج، وهي أهم آلة يتم الاعتماد عليها في هذه الصناعة، يعود استخدامها في منطقة شمال افريقيا لاكثر من أربعة آلاف سنة، ظهرت في البداية عند الامازيغ، الذين أطلقوا عليها اسم "الزطا".

والسؤال المطروح: كيف تتم الصناعة النسيجية بوادي سوف؟ وما هي أهم المنسوجات السوفية؟

وللاجابة على هذا التساؤل يمكن طرح الاسئلة الفرعية التالية:

- ما هي المواد التي يتم الاعتماد عليها في عملية النسيج.

- بما تتم عملية النسيج.

- ما هي مخرجات عملية النسيج.

• الفرضيات:

وللاجابة على الأسئلة السابقة يمكن طرح الفرضيات التالية:

- تعتمد عملية النسيج على عدة مواد نباتية وحيوانية .

- تتم عملية النسيج بآلة خشبية أو معدنية.

- ينتج عن عملية النسيج عدة منسوجات تستخدم للسكن واللباس وتوفير المستلزمات اليومية.

• أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في الوقوف على أحد الصناعات التقليدية بمنطقة سوف المتمثلة في الصناعة النسيجية التي لها دور في تنمية الاقتصاد المحلي كما أنها تعكس ثقافة المنطقة، فمن خلالها يمكن للمجتمع السوفي توفير احتياجاته الذاتية ومستلزماته اليومية بالاعتماد على

مخرجات هذه الحرفة التقليدية التي يمارسها نساء المنطقة لتحقيق الاكتفاء الذاتي وبيع الفائض، وهذا ما يبرز الابعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الصناعة.

• أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في:

- التطرق إلى أحد الصناعات التقليدية المتمثلة في الصناعة النسيجية.

- معرفة حيثيات الصناعة النسيجية بوادي سوف.

- التعريف باهم منسوجات منطقة سوف.

• منهج البحث:

تم في هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي لأنه المنهج المناسب للموضوع محل الدراسة، حيث اعتمدنا على الوصف لابرز المواد الاولية التي تستعمل في عملية النسيج، وكذا التعريف بآلة النسيج وكيف تتم الصناعة النسيجية، لنخلص في الأخير إلى اعطاء نماذج عن مخرجات الصناعة النسيجية المختلفة التي تعمل على تغطية الاحتياجات الذاتية لسكان منطقة سوف.

أولاً: المواد الأولية للنسيج

اعتمد المجتمع السوفي على وبر الجمال وصوف الأغنام وشعر الماعز كمواد أساسية لتوفير مستلزماته من الملابس والافرشة، بالإضافة إلى الكتان والقطن والحريز وغيرها كمواد ثانوية، حيث كانت البيوت والخيم تتوفر على المنسج التقليدي السوفي، الذي تشتغل فيه النسوة في أوقات فراغهن لكسوة أهل البيت.

1-الصوف:

الصوف هو عبارة عن نسيج يتكون من شعيرات تغطي أجسام بعض الحيوانات أهمها الأغنام¹، كما يعرف بأنه الألياف الناتجة من فوق ظهور الأغنام. ويعتبر من أهم الخامات الحيوانية.² وقد كان للصوف مكانة كبيرة منذ زمن بعيد فعن عبادة بن صامت: " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعليه جبة رومية من الصوف ضيقة الكمين وصلى بنا فيها ليس عليه شيء فمسح بها وجهه." ³ ومادة الصوف تعتبر من أهم المواد التي استخدمها سكان منطقة سوف في صناعة لباسهم وأثاثهم.⁴

إختار أهل وادي سوف مادة الصوف لتكون مادة أساسية في منسوجاتهم وذلك راجع إلى عدة أسباب يمكن إيجازها فيما يلي:

- عزله الجيد للحرارة.

- قدرته الكبيرة على امتصاص الماء.

- عكسه للضوء.

- مقاومته للانكماش.

- سهولة تنظيفه.

- قدرته على امتصاص الرطوبة.

2- مواد ثانوية للمنسوجات السوفية:

يعتمد أهل منطقة سوف في منسوجاتهم أساساً على الصوف ولكن مع مرور الزمن أدخلت مواد أخرى ثانوية منها المحلية وأخرى مستوردة لتشكل بذلك مواد أولية تضاف لمادة الصوف في عملية النسيج ومن هذه المواد:

-1-2- الكتان:

تعد مادة الكتان نبات نسيجي ذا خيوط دقيقة وطويلة وصلبة، وتتطلب زراعته غزارة المياه وعمق التربة.⁵ ويمكن الاعتماد على ألياف بذرة الكتان في إنتاج الخيوط والحبال،⁶ ويستورد سكان سوف هذه المادة من المدن الشمالية وكذا المدن الحدودية بتونس.⁷ وتم استخدامها في نسج العديد من المنسوجات.

-2-2- الحرير:

تعد حشرة دودة القز مصدر مادة الحرير،⁸ حيث تقوم بإنتاج خيوط لامعة تستخدم في صناعة الحرير. وتعد عملية تحضير الحرير سهلة وسريعة مقارنة بالصوف فلا يحتاج إلى الغسل والندف والغزل. وكان أهل المنطقة يستعملونه بصفة محدودة يقتصر على طبقة الأغنياء فقط. ويتم استيراده من منطقة قابس التونسية التي اشتهرت بصناعة الحرير منذ القدم وكذا من المناطق الشمالية بالجزائر.⁹ ويبيع الحرير بالأوقية والرطل، وله أنواع مختلفة.¹⁰

-3-2- القطن:

ينتج القطن في بلاد الهند. وفي القرن الثامن ميلادي أدخله الفاتحون العرب إلى بلاد المغرب العربي، ولوحظ انتشاره بشكل سريع في المناطق التي تتميز بوفرة المياه وعمق التربة.¹¹ وبما أنه يتم استيراده فهو لا يعد مادة أولية في عملية النسيج بمنطقة سوف.

-4-2- وبر الجمال:

لقد كرمه الله الإبل وعظمها نظراً لفوائدها الجمة حيث قال في كتابه الكريم ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَجْمَلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ (7)﴾.¹² وتعود فائدته لوبره، ويمثل الوبر الشعر الذي يكسو جسم الإبل، والوبر أكثر خفة ومتانة وقلة توصيله للحرارة مقارنة بالصوف والشعر،¹³ بالإضافة إلى نعومة ملمسه ولونه الكريمي المتعدد الدرجات. تميزت منطقة سوف بوفرة الوبر حيث كانت القبائل البدوية توفر أغلب الاحتياجات،¹⁴ و يمر في تحضيره بمراحل الجز والغسيل والتنظيف من الشوائب والغبار ليصبح مادة خام، ثم يتم ندفه بالمشط وقردشته بالقرداش وغزله بالمغزل ليصبح جاهزاً لعملية النسيج.

2-5- شعر الماعز:

نظرا لتوفر الماعز بمنطقة سوف فقد اعتمد سكان المنطقة على شعر الماعز كمادة خام في منسوجاتهم ، ويتم إضافته للصوف والوبر لسمكه وخشونته وقلة تموجه ويستخدم لنسج العديد من المنسوجات.¹⁵

هذه المواد التي ذكرت آنفا استخدمها سكان منطقة سوف في مختلف منسوجاتهم كمواد خام ، كان ركيزتها مادة الصوف كما يمكن أن يستخدم الوبر وشعر الماعز كمواد خام في بعض الأحيان، أما باقي المواد كانت تساهم كإضافات في العديد من المنسوجات .

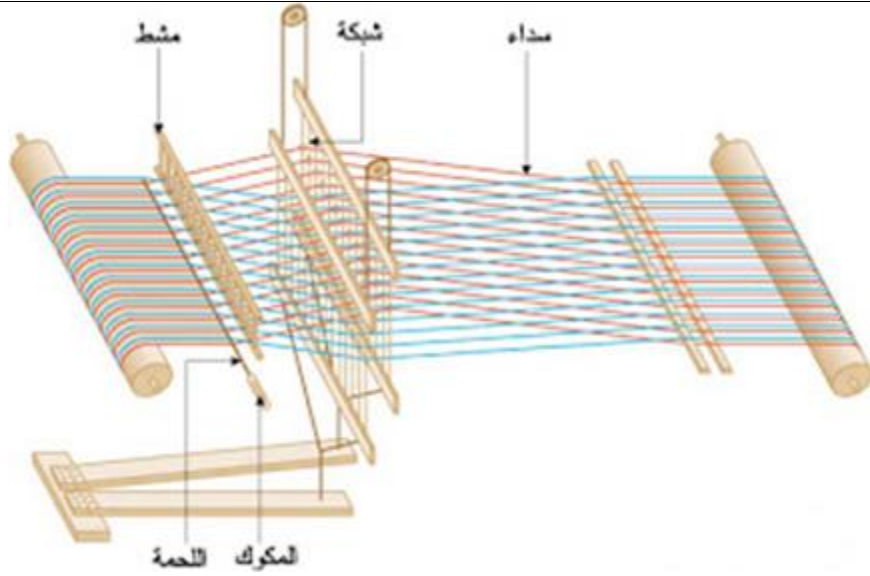
ثانيا: آلة النسيج السوفية (المنسج):

لقد استخدم سكان سوف المنسج مثلهم مثل سكان الجلفة، ويكمن الفرق في ان الاول تتم عملية النسيج عليه عموديا والثاني تتم عملية النسيج افقيا، ولاتزال النسوة يمارسن صناعة المنسج إلى يومنا هذا ، ولازال السكان ينتفعون من المنسج، فينسجون أفضل الأنواع من اللباس لارتدائها في المناسبات كالأعراس.



1- الأجزاء الأساسية للمنسج:

تتكون السدى من قائمتين من الخشب رأسيّتين، وركيزتين علوية ثابتة وسفلية متحركة، يتم الاعتماد على مادتي الخشب أو الحديد في صناعتها، ويتم شدّها بالخيوط، وتثبيتها بأربعة أعمدة مشدودة في الجدران خلف الناسجة، ويجب ترك مكان بين المنسج والجدران كافٍ للجلوس فيه والقيام بعملية النسيج.



وتتمثل الأجزاء الأساسية التي تتشكل منها في:¹⁶

- **خشبة تثبيت الخيوط:** عبارة عن قطعتين من الخشب المضلع طولهما في حدود متران وبهما تقريبا عشرة ثقب لتثبيت الخيوط، يتم تركيبهما أفقيا أحدهما تثبت من أعلى والأخرى تثبت من أسفل.
- **(القوائم أو الوقافات):** تتشكل من قطعتين مثله الرأس وطول الواحدة منها تقريبا 2 م، يوجد في كل قطعة ثقبين شكل مثلث بالأسفل وفي نهايته الرأس، كما يتخلل جانبي الخشبة شق لربط حبل شد السدى والحفاظ على توازنها، وتستخدم القوائم عموديا، لتثبت عليها قطعتي الخشب الأفقيتين لحمل السدى وشد توازنها.
- **(القصبية):** عبارة على عود طويل من نبات القصب يرفع به خبال المنسج، ويوضع للتحكم في السدى عند تغييرها إلى الأمام والخلف.
- **(الجادة):** تمثل قطعة صغيرة من العود في وسطها ثقب به خيط يربط بالقائمة لمسك النسيج وتعديل الانكماش، ولها فم ذو لسانين يثبتان في طرف المنسج من الجهتين يمينا ويسارا.
- **(السفاحة):** عبارة من خيوط ذات ظفائر، تمنع الخيوط الرقيقة "السدى" من الارتخاء، وذلك بمسك عود النيرة إلى الوراء، بحيث يترك فراغا لتمرير الخيوط الغليظة (الطعمة) بين أصابع الناسج.
- **(المطرق):** يصنع المطرق من جريد النخل ليشكل عودا تلتف حوله خيوط (النيرة) للتحكم في الخبال، ويمثل (الخبال) تبادل دخول صفي السدى الواحد في مكان الآخر، بعد مرور خيط النسيج.

2- الأدوات المستعملة في عملية النسيج:

تحتاج آلة النسيج مجموعة من الأدوات لاستعمالها في عملية النسيج ونذكر منها مايلي:

المشط: يستعمل لفصل خيوط الصوف على بعضها حتى لا تكون مجمدة ومتداخلة وكذلك لازالة بعض الشوائب العالقة، كما يحتوي على أداة مساعدة لبرم الصوف بشكل كروي حتى يكون جاهزا للغزل.



القرداشة : أو كما يطبق عليها آلة المحلج تصنع من الخشب ويركب له مقبض ومن الداخل يتم تركيب صفيحة من الجلد تلتصق فيه بمسامير وصفيحة معدنية مرشق بها مشابك حديدية تكون مثنية إلى جهة مقبض المحلج ويعمل بوضع قطعة الصوف بين المحلجين مع تمرير كل منهم في اتجاه معاكس للآخر. وتستخدم لتمشيط ومشق ونفش الصوف وإزالة الشوائب العالقة كما تقوم بتجهيز الصوف لعمليات استخدام أخرى.



المغزل: قطعة خشبية تأخذ شكل الاسطوانة لها قاعدة مدببة، ورأس مفلطح الشكل به قطعة حديد صغيرة على شكل علامة الاستفهام.



- **الخلالة:** عبارة عن أصابع حديدية مستوية ورقيقة، تمتد إلى الأمام ولها مقبض من عود مثبت عموديا في آخر طرفها، كما لها أسنان حادة كأسنان المشط، تستخدم لتثبيت خيط الطعمة في مكانه بالنسيج.



- **الحكاكة:** عبارة عن قطعة عظم ركة الإبل مستوى الشكل، ملمسه خشن بالبطن يستخدم لنزع الشوائب والنتوءات العالقة بالنسيج.

- **المقص:** يستخدم لتفصيل النسيج.

- **مجموعة مشابك:** لمسك أطراف النسيج وشدها حتى لا ترتخي.

- **مجموعة حبال:** تصنع الحبال من شعر الماعز المزوج ببعض من الصوف، وتبرم منه خيوط ويتم ظفرها حتى تصبح متينة لتشكل حبالا تستخدم لشد آلة النسيج على الجدار.

3- كيفية النسيج:

يشرع في عملية النسيج بجز الصوف تليه عملية الغسيل، ومن ثم القيام بتنقيته، والتخلص من كافة الشوائب العالقة به وقد يتطلب ذلك وقتا طويلا، وللقيام بذلك يتم اللجوء والاستعانة بالمشط الذي يمثل لوحة مستطيلة في أحد طرفيها أسنان حديدية، يستعمل لندف الصوف بعد عملية الغسل والتجفيف، ومن ثم القيام بتحويله إلى أشكال طولية صغيرة، ويتم ذلك عن طريق استخدام آلة " القرداش " التي تتكون من لوحين مربعين، ذات أيادي خشبية، يطلق على كل واحدة منهما بـ "الفرد" يغطي كل فرد من الأعلى بالجلد، يوجد بكل فرد العديد من الأسنان المدببة ذات الاتجاه المعكوف، يتم وضع الصوف فوق إحدى الفردات والمشط بالفرد الآخر، أي أنه يتم وضعه بين فكي القرداش، حيث يسحب الفرد العلوي باليد بينما يتم تثبيت السفلي على الفخذ، وبالتالي يتم فركشة جميع كتل بالصوف للحصول على طبقة رقيقة من الصوف على هيئة مربع بحجم فرد القرداش، ثم يتم لف كل طبقة بكفي اليدين لتعطي لنا لفافة كشكل القلم.

بعد عملية القردشة تقوم الناسجة بعملية غزل الصوف بواسطة آلة المغزل التي تأخذ شكل عود رقيق ينتهي بكتلة خشبية في الرأس، ويوجد نوعان حيث يستخدم المغزل الصغير لصناعة الخيوط الصغيرة، ويتكون من قطعة ذات شكل اسطواني تكون مدببة القاعدة ورأسها مفلطح، حيث يحتوي الرأس على قطعة حديد صغيرة دائرية الشكل غير مغلقة تشبه علامة الاستفهام، كما تتخلل رأس المغزل قطعة خشبية دائرية ذات ثقب في المنتصف لادخال الصوف من خلالها تعرف بالثقالة، وتتم عملية الغزل بإدارة المغزل في اتجاه واحد

وبسرعة وهنا يبرز دور الثقالا المساعد في زيادة ثقل العصا وشد الخيط وتقويته، ويستحسن أن تتم عملية الغزل برفع اليد أثناء الغزل حتى يتم الغزل بشكل جيد، أما المغزل الكبير مماثل للصغير غير أنه ذو رأس مدبب وقاعدة مدببة، ويتراوح طوله بين 25-30 سم، يستعمل لعمل الخيوط الغليظة (الطعمة) حيث تمرر خلال الخيوط الرقيقة (السدى) التي تأخذ الشكل العمودي، وبالتحام هذه الخيوط ينسج القماش.

يلاحظ أنه هناك اختلاف بين المنسج المستعمل بالمناطق الساحلية والمنسج بالمناطق الجبلية وبمناطق شمال الصحراء، فالأول يأخذ الشكل الأفقي يستخدم لصنع الرداء والعباءات الحريرية الخفيفة، أما الثاني فيأخذ الشكل العمودي ويستخدم في نسج العباءات الصوفية الغليظة، وقد شهدت مدينة طرابلس دخوله المنسج ذو الشكل الأفقي في وقت متأخر، أما المنسج عمودي الشكل أقدم منه لأنه يشبه الى حد كبير مناسج الحضارات القديمة كالمنسج اليوناني في طريقة وضعه الرأسية، والمنسج الفرعوني في طريقة تحضيره.

ثالثا: المنسوجات السوفية:

اعتمد سكان منطقة سوف قديما في لباسهم ومفروشاقتهم على ما ينسجونه نسوة وبنات المنطقة، كما يشترك الرجال مع النساء ايضا في عملية النسج طوال النهار، لسد احتياجاتهم الشخصية وكذلك للكسب المادي بعد عملية البيع . وقد تنوعت المنسوجات المستخدمة كلباس تقليدي في وادي سوف، فمنها ما هو خاص بالرجال ومنها ما هو خاص بالنساء وتمثل هذه المنسوجات فيما يلي:

1-1- قايبة :

تعرف عند المجتمع السوفي بالقشايبة، وأصلها من الكلمة اليونانية gausapa وتعني لباس مغطى بالشعر.¹⁷ وهي لباس شتوي ينتشر في مناطق عديدة بالوطن، لها مكانة خاصة لدى سكان منطقة وادي سوف. يرتديها الكبار والصغار. وتصنع من طرف الرجال والنساء، يتم نسجها من صوف الكباش ووبر الجمال. أما عن تاريخ دخولها لمنطقة سوف ترجح إحدى النساء أنها دخلت المنطقة إبان الثورة التحريرية لأنها أكثر راحة من البرنوس بالنسبة للثوار وأخذت هذه الصنعة من طرف عرش النمامشة كراي وارد، ولكن قد يكون هذا الرأي غير صحيح نظرا لما جاء في كتاب الصروف وصف للقشايبة وأنها من الصناعات التقليدية الموجودة في سوف، ويرجح القول أن القشايبة موجودة في سوف منذ قرون خلت، ولكنها كانت قديما تنسج فقط من الصوف، وإبان الثورة استخدم السوافة وبر الجمال لنسج القشايبة.



1-2-برنوس :

عبارة عن لباس رجالي شتوي ويرجع أصل كلمة برنس إلى اللاتينية Birrus وهو اللباس ومأخوذ من كلمة Burrus بمعنى بني أحمر إشارة إلى لون الصوف المستعمل لصناعته.¹⁸ يكون بدون أكمام، مفتوحاً من الأمام ويتم ضبطه على الجسد بواسطة شريط ثابت على الصدر، ويغطي كافة الجسم من الكتفين إلى القدمين، وله طربوش، وتتنوع البرانيس في منطقة سوف على حسب المقدرة المادية للأشخاص منها الرفيع والوضيع والمتوسط.

تتم صناعة البرانيس من مادتي الصوف ووبر الجمال، إذ يتم تزيينه أثناء نسجه من طرف النسوة بأشرطة ملونة من الصوف أو القطن. أما طريقة لبسه هناك طريقتان الأولى وهي الأكثر شيوعاً وذلك عن طريق وضعه على كلا الكتفين، أما الثانية بوضع طرف جناح واحد من البرنوس على الكتف.

**1-3-قندورة :**

لباس شتوي خاص بالرجال والنساء، لكن تختلف القندورة الخاصة بالرجال تنسج من الصوف الأبيض الغير مصبوغ، وتنسج عن طريق المنسج. تتميز بشكلها الواسع جداً الذي يغطي تفصيلة الذراع، مفتوحة الجانبين، وفي منتصفها خط طويل من الأمام وبها فتحة عريضة وطويلة تصل إلى أعلى البطن، وفتحة صغيرة في الأسفل لتسهيل عملية المشي. تمتاز القندورة بطولها لتصل إلى القدمين، لبست من طرف السوافة بالصفيف والشتاء وذلك بارتدائها فوق السروال أو على الجسد مباشرة.

أما القندورة النسوية تكون ملونة وتزين بشرائط ملونة من القطن، لها أكمام واضحة وطويلة إلى القدمين .

1-4-عراقية:

غطاء للرأس يحمل اللون الأبيض غالباً، يلبسها الرجل السوفي صيفاً وشتاءً، يتم نسجها بالمصانع وليس المنسج (النول). عند نسجها تكون ذات شكل دائري وتخللها في بعض الأحيان أشكال هندسية مختلفة لتزيينها.

1-5- تريكو :

لباس شتوي من الصوف يرتديه الرجال، يتم صنعه في شكل قطعة من النسيج، وتفصل الرقبة في أشكال مختلفة منها الدائرية أو المثلثة، والشائع أكثر ذو الفتحة المثلثة. ويكون ذو ألوان مختلفة، وهو نوعين ضيق قليلا وعريض.

**1-6- كدرون:**

عبارة عن رداء طوله يصل إلى نصف الساق مصنوع من الصوف الأبيض، وفي أعلاه فتحة صغيرة لإدخال الرأس، وفيه جيبان من اليمين واليسار. وهو لباس خاص بالتجار.

1-7- جوارب:

يستعمل لتغطية القدم يصنع من الصوف كما يصنع من الشعر أيضا، يلبس في فصل الشتاء بغرض التدفئة.

1-8- عفان :

يرتديه سكان المنطقة كالحذاء لتغطية القدم في البرد، يصنع من الصوف والشعر والوبر، يتم نسجه من الأصابع إلى آخر القدم وعلوه للكعب، كما قد يصنع أيضا بأعلى من الكعب قليلا. تؤخذ القياسات بعد عملية النسيج، ثم يتم خياطة أطرافه بالشعر والوبر وتغلق قاعدته بالجلد. وله ميزات أهمها: لا يخترق من طرف الحشرات والزواحف، وتسهل خفة وزنه المشي في الرمل، وشديد التأثير بالرطوبة.



هذه المنسوجات التي أشرنا إليها سابقا خاصة بالرجال، أما المنسوجات التي تخص النساء فهي:

1-9-حول:

كساء يتميز بلونه الأسود وشكله الواسع، تحف كامل الكساء سفيفتان. أحدهما صفراء اللون وأخرى وردية. كان ينسج في القدم من مادة الصوف فقط، ولكن بمرور الزمن أصبح ينسج من الكتان والقطن والحرير. ويمثل الحولي قطعة نسيجية طويلة وعريضة، تقمن النسوة بصنع سفيفة في وسط هذه القطعة، كما تقمن بإدخال خيط وسط السفيفة لكمش هذه القطعة من الوسط لتشكيل الحولي.



1-10-البخنوق:

برقع يغطي الصدر والعنق، ويطلق اسم البحق على البرنس الصغير. وهو خمار تقليدي يغطي الرأس ويتدلى إلى القدمين. كان في بداياته أسود اللون، وبعد ذلك تعددت الألوان للتمييز بين النساء والبنات والعجائز. يلبس عادة فوق الحولي، تستعمله المرأة السوفية زينة وحجابا لها كما يقيها من برد الشتاء، يشبه في شكله كثيرا البخنوق الليبي.



11-1-الحايك:

هو قطعة قماش تستر بها المرأة كامل جسدها ابتداء من الرأس حتى القدم، يشبه كثيرا الملحفة والبخنوق. والحايك كان من نسيج الصوف معلما بالحرير، يتم لبسه عن طريق مسك الطرفين في الجزء العلوي من طرف المرأة بالفم أو بيدها على فمها أو يتم وضع الطرف الأعلى على الرأس ولفه حول الوجه باليدين ووضعه تحت الذقن، أما الجزء السفلي فالطرف الأيمن يوضع تحت الإبط الأيسر والطرف الثاني الأيسر يوضع تحت الإبط الأيمن.

12-1- ملحفة أو لحاف:

غطاء تستر به المرأة كامل جسدها أي تتلحف به، يلبس عادة فوق اللباس. يتميز بشكله المستطيل تؤخذ مقاساته على حسب بنية المرأة. أما طريقة لبسه تكون مثل لبس الحايك والبخنوق، يتم تزيين حاشيته من الصوف بسفيفة صفراء اللون من الجهات الأربعة. ولقد قامت إيزابيل ابرهاردت بوصفه عند نزولها أحد البيوت بوادي سوف تقول "زوجة الرجل المسن ترتدي لحافا طويلا أبيضاً.."، "وعند خروجها ترمي فوق كل هذا لحافاً أزرق"، وأشارت أيضاً إلى لباس البنات "الصبايا تكسوهم على الطريقة العتيقة، ملحفات زرقاء داكنة كأنها سوداء".

**13-1-الكنافية:**

تمثل قطعة من النسيج بيضاء أو ملونة يتم نسجها مثل باقي الألبسة على آلة المنسج ثم يتم تفصيلها. تستعملها النساء كمظهر للزينة عند الخروج تلبسها على الأكتاف.

14-1-الجنّاح:

قطعة نسيجية من الصوف غالبا تكون بيضاء اللون، كما تكون أحيانا بذات لون برتقالي أو أحمر، بعد نسجها وقلعها من

المنسج يتم التطريز عليها بخيوط صوفية حمراء أو صفراء اللون، يتم تطريزها في بعض المناطق من سوف بأشكال هندسية مختلفة مثل المثلثات الملونة، والتي كانت تسمى ثليشه.

1-15-الدماعة:

كانت السوفيات سابقا يقمن دائما بتغطية شعرهن سواء داخل البيت أو خارجه. وكانت الدماعة من بين ما كان يغطي به الرأس إلى جانب المرحمة، وهي قطعة نسيج مخططة مصنوعة من الصوف، شكلها كالمربع، ويستعمل خيط الطعمة الملون لتزيينها بورود مطرزة.

1-16-الأحزمة:

تميزت المنطقة بتنوع الأحزمة في شكلها ومادة نسجها وتزيينها ولونها، فمنها الخاصة بالرجال والأخرى بالنساء. ومن محازم الرجال نجد حقب مصنوع من شعر الماعز وسير صوف مصنوع من الصوف والشعر والوبر، وتتميز بأشكالها المختلفة وزخارفها الملونة، وتصنع قاعدتها أحيانا من جلد الماعز. أما المحازم الخاصة بالنساء فنجد أحزمة البرايم وحزام الصوف وحزام المجدول المصنوعة من الصوف الأبيض.

2-منسوجات مستلزمات البيوت:

تعتبر منطقة سوف من أشهر المدن الجزائرية في صناعة الزرابي، وكن النسوة ينسجن أثاث بيوتهن كالوسائد والحرامات وغيرها. لتغطية احتياجاتهم اليومية.

2-1-فراشية :

غطاء ينسج غالبا من الصوف، وفي بعض الأحيان من وبر الجمال وشعر الماعز، يتم نسجه للوقاية من برد الشتاء. تتميز الفراشية بشكلها المستطيل، ولونها الأبيض الذي تتخلله شرائط ملونة.



2-2-الزرابي :

من أهم المنسوجات بوادي سوف التي لا زالت حاضرة إلى يومنا هذا. وتمثل الزربية حرفة تقليدية تعود الى حقبة ما قبل التاريخ

يتم نسجها لاستخدامها في تزيين محل السكن. وتعتبر تراث تقليدي ومنتوج جمالي متميز تزخر به منطقة سوف بفضل جودته وتناسق أشكاله وألوانه الجذابة.



2-3- الفرش :

بساط يصنع من الصوف غالبا مع خلطه في بعض الأحيان بالوبر والشعر، يتم بسطه على الأرض للجلوس عليه، قديما كان يحمل اللون الأبيض، لكن مع مرور الزمن أصبح يحمل ألوان مختلفة.

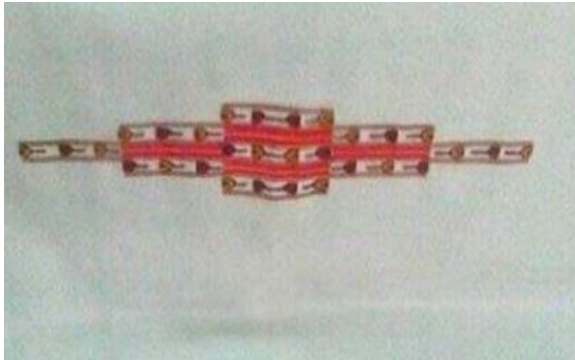


2-4- القטיפه:

هي بمثابة الغطاء أو الفراش قديما، سداها شعر مخلوط بصوف ووبر، لحمتها صوف مصبوغ بألوان كثيرة. ولها حمل طويل وكثير.

2-5- الوسائد:

تحمل الوسائد (المخايد) أشكال مختلفة منها المربعة أو المستطيلة أو الدائرية، ويتم نسجها وتزيينها بألوان مختلفة من الصوف.

**2-6- حرامات:**

تمثل نوع من الفرش يتميز بألوانه وأشكاله المختلفة، هم المنسوجات في منطقة سوف نجد الخيام الخاصة بالبدو الرحل.

2-7- المخلاة :

عبارة عن كيس يتم استعماله لأخذ بعض المستلزمات، ويتم نسجه من الصوف مع تزيينه بأشكال مختلفة.



3- الخيام :

تمثل الخيمة بيت يلجأ اليه سكان المنطقة للوقاية من حر الصيف، تنسج من شعر الماعز ووبر الجمال وصوف الأغنام، كما أنها تحمي قاطنيها من قساوة الطبيعة كالرياح وأمطار الشتاء. يسكن الخيم البدو والرحل لتنقلهم الدائم لذلك فهم بحاجة إلى المسكن الخفيف ليسهل نقله وبناءه.

ترتكز الخيمة في نسجها على شعر الماعز على عكس المنسوجات الأخرى القائمة أساسا على مادة الصوف كما أنها تختلف في طريقة صنعها عن باقي المنسوجات. لذا لها مكونات أساسية هي:

- **الأفلةجة أو الفليج**: يتميز الفليج أن نسجه يكون ممددا على الأرض وليس على المنسج عكس باقي المنسوجات الأخرى، ويعتبر مكون أساسي للخيمة السوفية، يكون عرضه في حدود ذراعين وطوله من 12 إلى 24 ذراع، أو أكثر. حسب حجم الخيمة. تتم خياطة الأفلةجة التي يتراوح عددها ستة أفلةجة بعد إتمام عملية نسجها ببعضها لتشكيل ما يعرف بالخيمة وتحاط بالعرض في منتصفها، بما يسمى بالطريقة.

- **الطريقة**: تنطق القاف حرف "g" بالفرنسية، وهي نسيج صوفي ذا ألوان مزركشة يبلغ عرضه ذراعا تقريبا والطول يكون على حسب عرض الخيمة.

- **ركيزة**: تستعمل لرفع الخيمة وتسمى عند البعض "القنات"، وهي عبارة عن عمود يتراوح طوله من مترين إلى ثلاثة أمتار، ونجد أحيانا ركيزتين في الخيمة.

- **كواسر**: مفردها كاسرة، تكون في طرقي الخيمة وهي تشبه الطريقة.

- **حنبل**: يتميز بسمكه وقوته، يصنع من الوبر والصوف المصبوغ بمختلف الألوان. وهو يشكل زريبة للخيمة بها رموز على شكل مستطيلات.

- **كربة**: من مكونات الطريقة، وهي لوحة بها تجويف تكون في أسفل مركز الخيمة.

- **ستار**: عبارة عن قطعة تحاط في آخر الخيمة، ويرفع في الأيام الساخنة بغرض التهوية وكذلك للسماح للهواء بالدخول.

- **رقة**: تمثل قطعة منسوجة من الصوف والشعر، تستخدم للتدفئة في أيام البرد.

- **خالفة**: عمود يكون في آخر الخيمة ليرفعها من الخلف.

- **شراع**: عمود يكون في مقدمة الخيمة، يستخدم لربط الخيمة بجبل من الشعر.

- **المائق**: جمع موثق، تضرب في الأرض وتوضع خارج الخيمة لربطها.

- **الأطناب**: جمع طناب، وعددها من ثمانية إلى عشرة. وتمثل الحبال التي تربط الخيمة بالمائق.

يشرع في عملية تركيب العشة أو الخيمة (بيت الشعر) بعد إتمام عملية النسيج وخياطة الخيمة، وتحضير كل ما يلزم. غالبا في فصل الشتاء يتم تنصب الخيمة على سطح منخفض ومستو، نحو جهة الشرق التي يطلق عليها أهل البادية القبلة، وتحاط الخيمة بـ"الحجير" المصنوع من الجريد وهو عبارة عن مكان وضع خصيصا لطهي الطعام والشاي.

يقطن بالخيام في واد سوف العشائر من البدو الرحل، وتبعد الخيام على بعضها بمسافة من 500 متر إلى 1 كلم، لأن المجتمع السوفي مجتمع محافظ.

وتتوفر بالخيمة كل مستلزمات الطبخ من مهاريس ثقيلة وجفان وغراير وغيرها وآثاث المبيت من فراريش وزرابي كلها من النسيج. إضافة إلى الأشياء الخاصة التي تعود ملكيتها لصاحب الخيمة.



يتكون المجتمع السوفي من الكثير من العروش، ولقد ظهرت لمسة العروش في الخيم السوفية، فمثلا عرش أولاد حجاج تكون مخططة سوداء وحمراء، أما عند عرش المصاييح من الربايح كانت خيمتهم بسيطة ذات لون أسود مثل عرش طرود خيامهم سوداء عادية ليس عليها ألوان أو رموز. بينما عند أولاد جامع والقطاطية والحماميد الفرجان والعثامين والسوامش والشعانية تتميز خيامهم باللون الأحمر.

تتميز الصناعة النسيجية بمنطقة سوف بتنوع موادها وألوانها وأشكالها. فمن الثروة الحيوانية نسجت مختلف المنسوجات. أهمها الصوف الذي يمر بعدة مراحل من بداية جزه حتى يصير جاهزا للنسيج وذلك باستخدام أدوات مختلفة.

لنحصل في الأخير على منسوجات متنوعة فمنها الغطاء واللباس والفراش والمسكن، كما تنوعت أشكال هذه المنسوجات وتعددت ألوانها ورموزها وزخارفها لتشكل لوحات فنية بقيت إرثا حضاريا وتاريخيا بالمنطقة.

خاتمة:

تمثل الصناعة النسيجية أحد الصور التي تعبر عن مظاهر الحياة وتبرز ثقافة وأصالة مجتمع ما، ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى أن البيئة المناخية لمنطقة سوف جعلت سكان المنطقة يصنعون من النسيج ما يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء. ولقد فرضت طبيعة البيئة الصحراوية القاسية على سكان المنطقة التميز بنشاطات مختلفة للتأقلم معها.

اعتمد سكان منطقة سوف في أكلهم وملبسهم ومسكنهم على ما هو موجود في الطبيعة، حيث اعتمدوا على الثروة الحيوانية بالمنطقة من إبل وغنم وماعز للاستفادة من أوبارها وأصوافها وأشعارها في تأمين احتياجاتهم كالسكن والملبس، فاتخذوا من مادة الصوف الذي تقمن النساء بتحضيره بدءا من مرحلة الغسيل حتى مرحلة الغزل كمادة أساسية لنسيج مستلزماتهم. وذلك باستعمال أدوات جد بسيطة مستمدة من الطبيعة كالنخيل. فقاموا بنسج اللباس الرجالي كالقشايية والبرنوس واللبس النسوي كالملحفة والبخنوق والحولي بالإضافة إلى مستلزمات المعيشة كالفراشية والزربية والخيمة وغيرها من المستلزمات التي تستعمل في الحياة اليومية بطرق تقليدية والتي تحمل زخارف ورموز معبرة، معتمدين في ذلك على آلة المنسج.

ونظرا لتنوع شرائح المجتمع أخذت المنسوجات أشكالا مختلفة، حيث تميز اللبس الرجالي بالشهامة، وأما اللبس النسوي بالعفة والحياء، وكانت الزرابي المنسوجة ترسم بطريقة معبرة عن المنطقة، أما الخيم كانت تعكس الحياة البدوية التي يعيشها سكان المنطقة.

نظرا لأهمية هذه الحرفة فقد تركت أثرا في مجالات مختلفة، حيث عكست في الجانب الاجتماعي كصورة للتعاون والتكافل الاجتماعي. أما من ناحية الجانب الثقافي فمن خلال الامثال والشعر والغناء والالغاز الشعبية تركت بصمة في التراث الثقافي اللامادي، كما أن كان لها دور في الجانب الاقتصادي كدخل للكسب المادي لسكان المنطقة من خلال استعمالها كنشاط تجاري.

ختاما نستطيع القول أن صناعة النسيج في الماضي عرفت ازدهارا كبيرا بمنطقة وادي سوف، ولكن في الحاضر واجهتها صعوبات ومعوقات حالت دون تطويرها. حيث اندثر اللباس السوفي بسبب الموضة وما بقي منه إلا القشايية حاضرة كاسم فقط. وأصبحت الزرابي أيضا تراث مهدد بالاندثار. ولا تزال الخيمة حاضرة ليس للمأوى بل كزينة تعكس العادات والتقاليد في الأعراس السوفية، لذا وجب تطوير هذا الإرث وحمايته من الزوال.

قائمة المراجع:

- ¹ - محمود هدية: اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي، مؤسسة هنداوي، دون مكان نشر، 2019م، ص: 44.
- ² - ياسر محمد عيد حسن: تكنولوجيا النسيج والتراكيب النسيجية، قسم تصميم الأزياء، كلية التصميم، جامعة أم القرى، 2019، ص: 10.
- ³ - القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، دون تاريخ نشر، ص: 1180.
- ⁴ - جباري عثماني: "مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن 19م"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 02، 2013، ص: 03.
- ⁵ - محمد مقرر: اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعودي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2006، ص: 75.
- ⁶ - جلال العشري: "طنطا"، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، العدد 47، 1981، ص: 46.

- 77 - عثمان زقب: "علاقات وادي سوف بتونس وليبيا أواخر القرن 19 م وفي بداية النصف الأول من القرن 20 م"، وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، من إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي بقمار، مطبعة مزوار، الوادي، 2008 م، ص: 75.
- 8 - القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2000، ص: 409.
- 9 - الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 م، ص: 515.
- 10 - علي غنابزي: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882م/1945م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008م/2009م، ص: 81.
- 11 - محمود هدية: اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019 م، ص: 44.
- 12 - سورة النحل: الآيات: 5-7.
- 13 - ميسان خلوف: انتاج الوبر، كلية الزراعة، سنة الرابعة، الجلسة العلمية الثامنة، جامعة حماة، ص: 01.
- 14 - عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918م-1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005م/2006م، ص: 84.
- 15 - بديينة ذيب: "الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة الجلفة"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، المجلد 8، العدد 04، 2015، ص: 381.
- 16 - الياس عوادي: المنسج السوفي، 2018/08/18، <https://m-ouad-souf.blogspot.com/2018/08/The-weave-SOUF.htm>، تاريخ الاطلاع: 2023/12/10، على الساعة: 12:00.
- 17 - الأمين سواق: القشابية، الأصول التاريخية للدارجة الجزائرية، 22/06/2013، http://dardja.blogspot.com/2013/06/blog-post_22.html، تاريخ الاطلاع: 2023/12/10، على الساعة: 9:00.
- 18 - بشير الأمين: بنزوس، هجرة الكلمات، 11/06/2016، http://qamus-tunsi.blogspot.com/2016/06/blog-post_74.html، تاريخ الاطلاع: 2023/12/10، على الساعة: 10:00.